

المحاضرة الأولى : ماهية الثقافة



Culture opens the sense of beauty

Ralph Waldo Emerson

تمهيد :

تساهم الثقافة في تصنيف المجتمعات لما تتميز به من أبعاد فردية وجماعية، مادية وغير مادية، شعبية وعلية، تمثل ناموس تفاعل وتطور المجتمع، فان فهم الثقافة يعد معادلة مستحيلة، فهي السهل الممتنع، ولقد ردد العلماء قديما أن المستحيل يعني التطور والتقدم ولهذا تميزت الثقافة بتشتت وغموض معانيها، فوفقا لـ إدجار موران فإن كلمة الثقافة : " تبدو وكأنها كلمة ثابتة، حازمة، والحال أنها كلمة فخ، خاوية، منومة، ملغمة، خائنة.. الواقع أنّ مفهوم الثقافة ليس أقلّ غموضا وتشككا وتعدّداً، في علوم الإنسان منه في علوم التعبير اليومي "

وسنحاول من خلال هذه المحاضرة التعرف على نشأة ومفهوم الثقافة وأهم خصائصها وأنواعها.

1. نشأة وتطور مفهوم الثقافة:

أخذ مدلول الثقافة من الفعل ثَقَّفَ وللعل ثَقَّفَ معاني كثيرة وفقا لمعجم الوسيط ومن أهمها

نجد:

- ثَقَّفَ الشَّخْصُ: صار حاذقًا فَطِنًا
- ثَقَّفَ السَّيِّءَ: ظَفِرَ به أو وجده وتمكَّن منه
- ثَقَّفَ الحديثَ: حدَّقه وفطِنه، فهمه بسرعة
- ثَقَّفَ الرَّجُلَ: صَادَقَهُ وَظَفِرَ بِهِ البقرة آية 191 وَأَفْتَلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)

"الثقافة" كلمة "شاملة" وأحد أهم المصطلحات استخدامًا في العديد من المجالات الاجتماعية والانثربولوجية والنفسية ... ؛ ورغم ذلك تعد من أعقد وأكثر المفاهيم غموضًا في نفس الوقت. وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية "Colere"، وهي صيغة المصدر من الفعل "cole". الذي يعني "حراثة" و "زراعة" (Arenas، 2020). في اللاتينية، ولقد استخدم لأول مرة في العصور القديمة الكلاسيكية من قبل الخطيب الروماني شيشرون: "Cultura animi للدلالة على تنمية العقل . كما ظهر مصطلح "الثقافة" أولاً بمعناه الحالي في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، للإشارة إلى عملية الزراعة أو التحسين ، كما هو الحال في الزراعة أو البستنة. لينتقل في القرن التاسع عشر للإشارة إلى تحسين الفرد أو صقله ، لا سيما من خلال التعليم ، ثم إلى تحقيق التطلعات أو المثُل الوطنية. في منتصف القرن التاسع عشر، ليتحول إلى تقدم قدرات الانسان. ("The Origins of Culture"، 2020)

وتُستخدم "الثقافة" في العديد من المجالات فهي تشير إلى الكيانات العرقية أو الوطنية ، مثل الثقافة الجزائرية والثقافة الفرنسية ، كما تعبر عن الأشكال المادية مثل الملابس والمأكُل وغير المادية

مثل العادات والتقاليد، كما أنها تستخدم لبيان اللغة والدين .. ، وهذا ما أثار جدلا واسعا حول مفهومها ويمكن تتبع أهم الاتجاهات في تعريف الثقافة كما يلي:

لقد حافظت الثقافة على مدلولها اللغوي حيث شكلت لدى فرنسيس بيكون مفهوم التثمين الزراعي ولدى فولتير الغرس وتنمية العقل، إلى أن جاء ادوارد تايلور Tylor في كتابه " primitive Culture " الثقافة البدائية " عام 1871 وعرفها بأنها " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع." (Peterson، 1979) ولا يزال هذا التعريف من أشهر وأهم التعاريف رغم أن تايلور Tylor لم يختبر الثقافات التي كان يدرسوها مثل الكثير من العلماء الأنثروبولوجيين كفريزر Frazer ورغم ذلك فلقد فتح المجال من خلال أسئلته ، فلقد حاول العلماء تفسير وفهم الكل المركب او المعقد للثقافة ما ساعد على بروز علماء الأنثروبولوجيا كمشاركين ثقافيين أمثال برونيسلاف مالينوفسكي وألفريد رادكليف براون وفرانز بواس ومارجريت ميد. (" Culture Concept (Covall and Mederios) "، 2020)

وفي اوربا وأمريكا الشمالية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تطور مفهوم الثقافة بشكل مختلف نوعاً حيث ساهمت كل منطقة بأبعاد جديدة لمفهوم الثقافة. كان العديد من علماء الأنثروبولوجيا الأوروبيين مهتمين بشكل خاص بالأسئلة المتعلقة بكيفية تنظيم المجتمعات وكيف ظلت مستقرة بمرور الوقت. سلط هذا الضوء على الاعتراف الناشئ بأن الثقافة والمجتمع ليسا نفس الشيء. عرّف تايلور الثقافة بأنها معرفة ومعتقدات وعادات، لكن المجتمع هو أكثر من مجرد أفكار أو عادات مشتركة. في كل مجتمع ، يرتبط الناس ببعضهم البعض من خلال المؤسسات الاجتماعية مثل العائلات والمنظمات السياسية والشركات. غالبًا ما ركز علماء الأنثروبولوجيا في جميع أنحاء أوروبا أبحاثهم على فهم شكل ووظيفة هذه المؤسسات الاجتماعية . ما ساعد لظهور النظرية الوظيفية وكان أهم علماءها برونيسلاف مالينوفسكي والذي يرى أن مجمل التقاليد الثقافية هي ناتج الاستجابة للاحتياجات البشرية. (" Culture Concept (Covall and Mederios) "، 2020)

وفي هذه الأثناء تطورت الأنثروبولوجيا في أمريكا مما أدى إلى بروز العديد من العلماء المفسرين للثقافة ومن أهمهم فرانز بواس ، الذي ساهم في إبعاد الثقافة على المفهوم العرقي من خلال دراسة الثقافات مما ساهم في ظهور النسبية الثقافية التي للمفهوم

تحدى فرانز بواس (عالم الأنثروبولوجيا الألماني الأمريكي) نهج تايلور. حيث اعتقد بواس أن الثقافات لم تتبع تقدمًا خطيًا كما اعتنقه أنصار التطور الثقافي مثل تايلور ، ولكنها تطورت في اتجاهات مختلفة بناءً على الأحداث التاريخية. استغرق بواس سنوات لتطوير تعريف عملي للثقافة، لكنه أثر على علماء الأنثروبولوجيا حتى يومنا هذا فالثقافة هي : نظام متكامل من الرموز والأفكار والقيم التي يجب دراستها كنظام عمل كلي وعضوي (Anthropological Culture Concept، N.D)

بمرور الوقت، تعلم علماء الأنثروبولوجيا أن تضمين التفاصيل في تعريف الثقافة يحد من هذا التعريف. بعبارة أخرى ، لن ينطبق التعريف على جميع الثقافات. ما دفعهم لتطوير مفهوم الثقافة وتطبيقه على نطاق أوسع، حيث اقترح ألفريد كروبر وكلايد كلوكوهن بأن الثقافة ليست مجرد سلوكيات، وإنما هي نتاج عوامل نفسية واجتماعية وبيولوجية ومادية (Anthropological Culture Concept، N.D)

ويعرف مصطلح الثقافة بصعوبة تعريفه. ففي عام 1952، قام عالم الأنثروبولوجيا الأمريكيين ، كروبر وكلوكوهن Kroeber & Kluckhohn 1952 ، بمراجعة نقدية لمفاهيم وتعريفات الثقافة ، حيث قاموا بتجميع قائمة من 164 تعريفاً مختلفاً، ووفقاً لهم "تتكون الثقافة من أنماط ، صريحة وضمنية ، للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، والتي تشكل الإنجازات المميزة للمجموعات البشرية، بما في ذلك تجسيدها في المصنوعات اليدوية؛ يتكون الجوهر الأساسي للثقافة من الأفكار التقليدية (أي المشتقة والمختارة تاريخياً) وخاصة القيم المرتبطة بها ؛ ويمكن اعتبار أنظمة الثقافة ، من ناحية ، نتاج عمل ، ومن ناحية أخرى ، كعناصر مشروطة للعمل المستقبلي". (Spencer-Oatey، 2012)

ولقد حضت الثقافة بأهمية لدى علمائنا العرب حيث عرفها مالك بن نبي بأنها: مجموعة الصفات الخلقية والاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ والدته، كراسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" ، (بكوش، 2016، ص. 121)، بينما يرى الجابري انها " : ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتطورات والقيم، والرموز والتعبيرات، والابداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية، وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء ... ، ان الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية للأمة من الامم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون، والحياة، والموت، والإنسان ومهامه، وقدراته، وحدوده، وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل". (حنيبي، 2016، ص.345)

2. خصائص الثقافة:

للثقافة خمس خصائص أساسية: يتم تعلمها ومشاركتها على أساس الرموز ومتكاملة وديناميكية. تشترك جميع الثقافات في هذه السمات الأساسية تتمثل فيما يلي: (The Characteristics of "Culture" N.d.)
الثقافة مكتسبة : إنها ليست بيولوجية. نحن لا نرثها. الكثير من ثقافة التعلم غير واعية. نتعلم الثقافة

من العائلات والأقران والمؤسسات ووسائل الإعلام. تُعرف عملية ثقافة التعلم بالثقافة. في حين أن جميع

البشر لديهم احتياجات بيولوجية أساسية مثل الطعام والنوم ...، فإن الطريقة التي نلبي بها هذه الاحتياجات تختلف باختلاف الثقافات.

الثقافة مشتركة: نظرًا لأننا نشارك الثقافة مع أعضاء آخرين في مجموعتنا ، فنحن قادرون على التصرف بطرق مناسبة اجتماعيًا وكذلك توقع كيف سيتصرف الآخرون. على الرغم من الطبيعة المشتركة للثقافة ، فإن هذا لا يعني أن الثقافة متجانسة (نفس الشيء). تتم مناقشة العوالم الثقافية المتعددة الموجودة في أي تتم مناقشة العوالم الثقافية المتعددة الموجودة في أي الثقافة تقوم على الرموز: الرمز هو شيء يرمز إلى شيء آخر. تختلف الرموز عبر الثقافات وهي تعسفية. يكون لها معنى فقط عندما يتفق الناس في ثقافة ما على استخدامها. اللغة والمال والفن كلها رموز. اللغة هي أهم عنصر رمزي للثقافة.

الثقافة متكاملة: يُعرف هذا بالكلية، أو أن الأجزاء المختلفة للثقافة مترابطة. ترتبط جميع جوانب الثقافة ببعضها البعض ولفهم الثقافة حقًا ، يجب على المرء أن يتعلم عن جميع أجزائها ، وليس القليل منها فقط.

الثقافة ديناميكية: هذا يعني ببساطة أن الثقافات تتفاعل وتتغير. لأن معظم الثقافات على اتصال بالثقافات الأخرى ، فإنهم يتبادلون الأفكار والرموز. تتغير جميع الثقافات ، وإلا فإنها ستواجه مشاكل في التكيف مع البيئات المتغيرة. ولأن الثقافات متكاملة ، إذا تغير أحد مكونات النظام ، فمن المحتمل أن النظام بأكمله يجب أن يتكيف.

3. أنواع الثقافة: يقسم M. K.Singh الثقافة إلى :

الثقافة المادية: تشكل الأشياء المادية والموارد والأماكن التي يستخدم الناس لتعريف ثقافتهم. وتشمل هذه المنازل والأحياء والمدن ، المدارس والكنائس والمعابد والمعابد والمساجد والمكاتب والمصانع والنباتات، الأدوات ووسائل الإنتاج والسلع والمنتجات والمخازن وما إلى ذلك. كل تساعد هذه الجوانب المادية للثقافة على تحديد سلوكيات أعضائها و التصورات. على سبيل المثال ، تعد التكنولوجيا جانبًا حيويًا من جوانب الثقافة المادية.

الثقافة اللامادية: يشير إلى الأفكار غير المادية التي يمتلكها الناس حول ثقافتهم ، بما في ذلك المعتقدات والقيم والقواعد والأعراف والأخلاق واللغة ، المنظمات والمؤسسات. على سبيل المثال ، المفهوم الثقافي غير المادي يتكون الدين من مجموعة من الأفكار والمعتقدات حول الله والعبادة والأخلاق. هذه المعتقدات ، إذن ، تحدد كيف تستجيب الثقافة لها الموضوعات والقضايا والمناسبات الدينية.

عند التفكير في الثقافة غير المادية ، يشير علماء الاجتماع إلى عدة عمليات التي تستخدمها الثقافة لتشكيل أفكار أعضائها ومشاعرهم وسلوكياتهم. أربعة من أهم هذه الرموز واللغة والقيم والأعراف.

تتكون الثقافة غير المادية من الكلمات التي يستخدمها الناس أو اللغة التي يستخدمونها يتحدثون ، والمعتقدات التي يعتنقونها ، والقيم والفضائل التي يعتزون بها ، والعادات التي يتبعونها ، الطقوس والممارسات التي يقومون بها والاحتفالات التي يمارسونها.

ولا يمكن التكلم عن أنواع الثقافة دون التحدث عن تقسم أخر للثقافة وهو الثقافة الشعبية أو الجماهيرية والعاليا

الثقافة العليا: وهي ثقافة فرعية مشتركة بين الطبقة العليا في المجتمع. بمعنى آخر ، هي أنماط استهلاك محددة ونمط حياة وأدب ومعتقدات ومواقف وأنشطة ترفيهية تميز النخب عن المجتمع الجماهيري.

الثقافة الشعبية: هي ثقافة فرعية يتقاسمها الجميع أو جماهير المجتمع. على غرار الثقافة العالية ، وهي أنماطها الاستهلاكية ونمط الحياة والأدب والمعتقدات والمواقف والأنشطة الترفيهية. ليست معقدة كما هو الحال في الثقافة العالية مما يجعلها أكثر جاذبية للجماهير.

ولا يعني أبدا هذا التقسيم أن الثقافة العليا أفضل من الجماهيرية وهذا ما أكده بواس على غرار تايلور،

ففي حين شدد أنصار التطور على الطابع العالمي لثقافة واحدة مختلفة وشدد بواس على تفرد العديد من المجتمعات من المتوحش إلى المتحضر بثقافات متنوعة لشعوب أو مجتمعات مختلفة. علاوة على ذلك رفض القيمة الأحكام التي وجدها متأصلة في كل من آراء أرنولديان وتايلور للثقافة ؛ لبوا ، لا ينبغي لأحد أن يفرق بين الثقافة العالية والمنخفضة ، ولا ينبغي للمرء أن يميز بين الثقافات على أنها متوحشة أو متحضرة. (Spencer-Oatey، 2012)

4. عناصر الثقافة:

يرى M.K.Singh تنتقل الثقافة بعدة طرق. من أهمها القصص والطقوس والرموز المادية واللغة. كما تشمل على القيم المشتركة ، والتفاهات والأهداف التي تم تعلمها من الأجيال السابقة وفرضها من قبل أعضاء المجتمع الحاليين ، ويمكن تحديد أهم عناصر الثقافة فيما يلي:

② اللغات ،

② القواعد

② الرموز

② القيم

② الموقف

الطقوس والعادات والاداب

الثقافة المادية والتعليم ،

الأدوات ،

اللغة والمصطلحات اللغوية والاستعارات ،

القصص والنظريات والأساطير ،

مراسم واحتفالات ،

القواعد السلوكية

المعتقدات والقيم المشتركة.

□ موارد ثانوية

<https://study.com/academy/lesson/nonmaterial-culture-definition-components-examples.html#:~:text=Material%20culture%20consists%20of%20things,%2C%20words%2C%20and%20dress%20codes.>

قائمة المصادر والمراجع:

1. Anthropological Culture Concept(n.d). available at :
[https://courses.lumenlearning.com/culturalanthropology/chapter/anthropological-culture-concept/#:~:text=Boas%20took%20years%20to%20develop,\(Kuper%201999%3A56\)](https://courses.lumenlearning.com/culturalanthropology/chapter/anthropological-culture-concept/#:~:text=Boas%20took%20years%20to%20develop,(Kuper%201999%3A56)).
2. M.K.Singh. (n.d).Culture and its elements.BBA. available at :
<http://www.rncollegehajipur.in/rn/uploads/products/Culture%20and%20its%20elements.pdf>
3. M.K.Singh.(n.d). TYPES OF CULTURE.BBA. available at :
<http://www.rncollegehajipur.in/rn/uploads/products/Types%20of%20culture.pdf>
4. Peterson, R. A. (1979). *Revitalizing the Culture Concept. Annual Review of Sociology, 5(1), 137-166.* doi:10.1146/annurev.so.05.080179
5. Spencer-Oatey, H. (2012) What is culture? A compilation of quotations. GlobalPAD Core Concepts. Available at GlobalPAD Open House. available at :
<http://www2.warwick.ac.uk/fac/soc/al/globalpad/interculturalskills/>
6. The Characteristics of Culture(n.d). available at :
https://nideffer.net/classes/GCT_RPI_S14/readings/Chap8CharacteristicsofCulture.htm
7. بكوش، حورية(2016). تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في مفهوم الثقافة وعناصرها. مجلة رفراف.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/132/4/2/31250> تم استرجاعه من:
8. حنيني، أم الخير(2016). الميديا و الهوية الثقافية في ممارسات المجتمع التواتي زمن العولمة.الحوار الفكري.11(11). تم استرجاعه من:
<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/179/11/11/14828>